حوار الأديان
بين خطأ المفهوم ومخاطر تطبيقاته

البخاري حمانه(*)

لم يحط الحوار بين الأديان (le dialogue des religions) عامة، وبين الأديان السماوية الثلاثة خاصة، وبين المسيحية والإسلام بصورة أخص، في أي وقت من الأوقات بمثل هذا الاهتمام، الملفت للنظر،(من طرف كل من الغرب ومن الشرق على حد سواء)، الذي يحضى به منذ بدايات هذه الألفية الثالثة من تاريخ الإنسانية.

فمن الفاتيكان(١) إلى الحرمين الشريفين(٢)، ومن قرطبة(٣)(أسبانيا) إلى الدوحة(قطر)(٤)، ومرورًا بكل من قبرص(٥) والرباط(٦)، تتعالى النداءات

(*). قسم الفلسفة. جامعة وهران. الجزائر.

(1). أعلن البابا، الحالي، عن إنشاء موسسة لحوار الأديان ستبدأ عملها في نوفمبر٢٠٠٨.

(2). انظر تصريحات الملك عبد الله، وكالة الأنباء السعودية، ٢٤ مارس ٢٠٠٨.

(3). مؤتمر قرطبة حول الخوف من الإسلام (l'Islamophobie) والمسلمين، ٠٩-١٠ أكتوبر ٢٠٠٧.

(4). مؤتمر الدوحة حول الأديان، ٢٠٠٤/٠٤/٢٥.

(5). لقاء قبرص حول حوار الأديان، ١٩٦٨.

(6). ندوة الرباط، يناير ٢٠٠٢.

المطالبة بضرورة مثل هذا الحوار وبطابعه الاستعجالي، وتتعدد الندوات والمؤتمرات الجهوية والدولية، الرسمية، وغير الرسمية الهادفة إلى تجسيده.

غير أن ما يلاحظ أن مثل هذا الحوار المنشود، والذي أصبح يشمل، ولأسباب سنعرض للبعض منها لاحقا، الإسلام،(بعد أن كان محصورا، ومقصورا، من قبل – بالنسبة للديانات السماوية) على اليهودية والمسيحية، لم يتقدم قيد أنملة، فحسب، بل إن التباعد بين أطرافه، خاصة المسيحية والإسلامية، قد ازداد على مختلف الأصعدة الدينية والنفسية والثقافية والقيمية بل والإنسانية.

وإذا كان كل طرف من أطراف هذا الحوار يرجع مثل هذا الفشل للطرف الآخر، فإننا إذا كنا أول من يتفق، جزئيا، مع هذه الأطراف في اتهاماتها المتبادلة هذه،فإننا أول من يؤكد كذلك إن مثل هذه الاتهامات تظل، بقطع النظر عن صحتها أو عدم صحتها، أقرب إلى الأسباب منها إلى النتائج الحقيقية والعميقة لذلك الفشل.

وحين نحاول البحث عن البعض من تلك الأسباب الحقيقية والعميقة، فإننا لا نلبث أن نكتشف أنها تعود أساسا إلى الفهم الخاطئ، حتى لا نقول المنحرف، للبعض في كل طرف من أطراف هذا الحوار..لهذا الأخير، مبدأ، ومفهوما، وأهدافا، وتجسيدا لهذه الأهداف.

أ- فعلى مستوى مبدأ الحوار بين الأديان، خاصة بين المسيحية والإسلام، وهو ما يهمنا هنا، فإن البعض، من الطرف الإسلامي فيه،حين يرفضون مبدأ

الحوار ذاته بحجة أنه لا حوار بين الكفر وبين الإيمان[1]، وبأن الصراع بين الحق وبين الباطل سيظل متواصلا إلى يوم الدين، فإنهم ينسون، أو يتناسون، أن القرآن الكريم كان أول من أقر مثل هذا الحوار بين الكفر وبين الإيمان وأول من أورد نماذج له[2]، تماما مثل المسيحيين الذين ينسون، أو يتناسون كذلك وبدورهم،أنهم حين يصفون خاصة، منذ أحداث ١١ سبتمبر، ٢٠٠١ المسلمين وعالمهم "بمحور الشر[3].....التعصب والهمجية واللاتسامح.. بل وبالإرهاب وبالظلم..والظلامية، إلخ، فإنهم يلغون بذلك، وبدورهم، مبدأ الحوار، باوصافهم هذاه لطرفه، جاهلين، أن الشر صفة الإنسان، أيا كان، وأنه ليس له محور محدد..أو ثابت في الزمان أو في المكان.

ب- وعلى مستوى المفهوم، فإننا نذكر هنا كل أطراف هذا الحوار، أن الحوار عامة (le dialogue)، والحوار بين الأديانخاصة، والذي هو، في أبسط تعريف له، تحادث أو محادثة بين شخص آخر (أو أشخاص)، وبين شخص آخر (أو أشخاص آخرين)[4] حول موضوع،(أو مواضيع) ما، لا يمكن أن يتم بالتالي بدون تفكير.

ولأن التفكير إنما هو أولا وقبل كل شيئ، حوار بين الذات – والذات[5]، حوار تتخلص فيه، وبه، هذه الأخيرة من العديد من أوهامها ومن قناعاتها غير

---

(1). اعترافات د.محمد عماره حول حوار الأديان (ورقة في انترنيت).

(2). سورة الكهف، آيات،٣٢ – ٤٢.

(3). أنظر تصريح جورج بوش(G.Bush)،٢٠٠/٠١/٢٩.

(4). P.Foulquié = Dictionnaire de la langue philosophique،PUF،1978.

(1). Platon = Théeetetc. Col، Ellipses، Paris.

المؤســسة، ومن أفكارها الخاطئة... حوار لا يحدد نجاحها أو فشلها فيه، نجاح أو فشل حوارها مـــع الآخر (l'autre) فحسب، بل يتحول فيه، وبه، وجود هذا الأخير إلى شرط لوجودها، ويصبح فيه التعرف عليه بالتالي، أي معرفته(sa connaissance) الوسيلة الأولى والحقيقية لتعرفها على نفسها[1].

ولأن التعرف على الآخر لا يمكن أن يؤدي إلا إلى الاعتــراف به[2]، (la reconnaissance)، عــن قناعة، أو عن كره، فإن أي حوار لا يمكن أن يأدي بــدوره وبالتالــي الا الــى التكافؤ بين أطرافه.. و إلى التبادل و التعاون الحر والعادل.. معه.

لكــل ذلك نقول أنه لا حوار حقيقي و ناجح.. بدون الاعتراف المتكافئ بين مختلف اطرافه.

إن غياب مثل هذا التكافؤ..ومثل هدا الاعتراف المتبادل هو الذي يعيبه كل طرف من أطراف الحوار بين المسيحية والإسلام، على الطرف الآخر.

فالــبعض، فــي الطــرف الاسلامي يعيب على الطرف المسيحي رفضه الاعتراف به كطرف مكافئ له...ذلك ما يؤكده، وكما يضيفون رفض المسيحين الاعتــراف بالاســلام كدين سماوي و عالمي[3] وبنبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، كنبي لهذا الدين...وهذا في الوقت الذي يعترف فيه الاسلام و المسلمون

(2). AnneAmiel =HANNA Arendt 2001،PP،46-54.

(3). HAMMANA Boukhari:Se Connaître pour Se Reconnaître،XXXIè congrès ،de l'ASPLF،Budapest، Hongrie، édit.J.Vrin، Paris، 2008

(3). محمد عمارة: مأزق المسيحية والعلمانية، عدة طبعات.

بكل من اليهودية ومن المسيحية كأديان سماوية...و بأنبيائهم...موسي..وعيسي،عليهم جميعا السلام [1].

وعلى مثل هذه الاتهامات، وغيرها، يرد الطرف المسيحي،في هذا الحور بأن الاسلام و المسلمين حين يقولون أنهم يعترفون بالمسيحية و اليهودية، فإنهم يعترفون بها بمفهوم عقيدتهم لها، وذلك باعتبارها أصبحت ديانات محرفة من طرف أتباعها[2]...ومن هنا فإنه لا معني وكما، يضيفون، لدعوات للبعض من رموز المسلمين[3] لمثل هذا الاعتراف المتبادل.

من بلد اسلامي.. وحملاتهم الإعلامية..الرسمية، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١[4] ضد الإسلام.. وضد نبيه محد (ص).. كما يؤكده كذلك تزايد الحواجز الرمزية واللاتنية..واللغوية. والقيمية لا عن الاقتصادية والبيئية والعلمية ضد المسلمين خاصة المقيمين فوق أراضيهم.

بذلك تلتقي الأطراف المسيحية في هذا الحوار عمليا مع أطرحه طرح الحضارات. فمن خلال خلطها المتعمد بين الإسلام كدين وبين الإسلام كثقافة(

Ils ne confondent l'Islam cultuel et l'Islam culturel que pour nier les droits des immigrés musulmans entant que minorité (20)،

(1). المرجع السابق.

(2). فرانسو بايلسي: حوار الطرشان، القدس دالعربي، ٢٠٠٤/٠٨/٢٧.

(3). أنظر دعوة الشيخ يوسف القرضاوي، إلى الإعتراف المتبادل بين الإسلام والمسيحية، مؤتمر الدوحة.